Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi XLI, 2016/2, 53-73
Geliş Tarihi: 26.02.2016, Yayın Tarihi: 28.12.2016
CC: BY-NC-ND 4.0

مدارات النقد المعاصر للأدب الإسلامي

زين الدين بن موسى[a]

ملخص

الأدب الإسلامي هو الذي يتمثل واقع الحياة الدينية بجميع أبعادها وأحداثها ليجسدها صورةً إبداعيةً تنطق عن حقيقتها نصوصٌ مختلفة المواضيع سواء أكانت نثرية أو شعرية ويكون الشكل الأدبي بعد ذلك المحضنَ الأساسَ الذي يرسم ملامحها تجسيدا لمعطيات الحياة الإنسانية بمختلف مناحيها دون أن يستبعد جانب من جوانب الحياة على أنّه لا علاقة له بحياة المسلم، لأنّ خضمّ الحياة مسرح يستثمره الأديب ليجعل منه مصدرا لإبداعه الروائي أو الشعري أو النقدي، غير أنّ هذه الحقيقة تلفّها ضبابيةٌ في الأدب الإسلامي الذي ينأى بنفسه عن تناول بعض المواضيع التي يراها محظورة ويترك المجال لأقلام غيره أن يكتبوا فيها بإباحية صارخة، فلو وقف كتّاب الأدب الإسلامي من جميع المواضيع في الحياة الإنسانية موقفا محايدا يساعدهم على معالجتها ودراستها وفق نظرتهم التي تصطبغ بفكرهم لكان لذلك الصنيع عظيم الأثر في قيمة ما يكتبونه، حيث من الضروري أن يجد إبداعهم هذا صدى عند أكبر عدد من القراء دون تخصيص فئة بعينها.

وهذا المنحى هو الذي يقودنا إلى الحديث عن مستويات النقد في الأدب الإسلامي هل هي مقتصرة على المعايير الذاتية التي أساسها القيم الأخلاقية فحسب أم أنّ المعايير النقدية تتفاوت وتختلف بحسب طبيعة العمل الفني، وسنحاول من خلال هذا المقال أن نتلمّس الواقع النقدي ومداراته المعاصرة للأدب الإسلامي، كما سنسعى لإبراز قواعد المنهج النقدي وكيفية تطويرها لتساير واقع المنتج الأدبي الذي يوائم خصوصية المرحلة، ممّا يساعد على جعل رسالة الأدب الإسلامي رسالة عالمية ذات بعد إنساني بالدّرجة الأولى.

الكلمات الدالة: أدب الإسلامي، النقد المعاصر، مدارات

[a]دكتور، جامعة الإخوة منتوري، الجزائر، zineeddine.benmoussa@gmail.com

مقدمة:

ميزة الأدب الإسلامي أنّ النقد قد تجاسر عليه وعايبه يوم استشعر أدباء صدر الإسلام ذلك اللين الذي سرى في أوصال القصيدة التي تمثل لسان حال قضية من قضايا الدين الجديد سواء ارتبط موضوعها بأساليب دعوته وأخبار رسالته أو تعلق الأمر بتلك الملاسنات التي كانت بين شعراء الدعوة وخصومهم الذين ناصبوهم العداء بسبب اتباعهم للرسالة المحمدية.

فالنقد إذا واكب الأدب في مراحل ظهوره الأولى يمكن أن يحول دون تطوره لاسيما إذا لم يفهم وجهته والغاية منه، فخصوصية الأدب الإسلامي في إرهصاته الأولى جعلته عرضة لانتقادات كثرت شكلا ومضمونا ؛ لأنّ الهدف من وراء تلك المواقف السلبية من مواضيعه وأساليب طرحها هو الانتقاص من قيمته والسخرية من توجهه، فالذين زامنوا عصر نشأته لم يألفوا طبيعة ما تناوله من أفكار، فالأدب عندهم لا علاقة له بتوحيد الألوهية ولا ذمّ الغزل مهما كانت صورته.

فالأغراض الشعرية في صدر الإسلام انزوت تدريجيا عما تعوّد العرب قبل مجيء الإسلام تذوقه وهذا ما قادهم إلى مجّه إما علنا إن كانوا مناهضي الدعوة أصلا أو دخلوا إلى الدين الجديد حديثا، فالشعر بوصفه بوابة الأدب وعموده قديما لم يجد بمواضيعه المستحدثة رواجا وانتشارا ،بل إنّ سلطة الشعر الإسلامي في تلك الفترة قد استمدها من سلطة الدّين نفسه خاصة في ظلّ حيادية الرؤية الإسلامية في عمومها إزاء الشعر، فالموقف منه تعتريه مسحة من الضبابية وغموض التأويل.

غير أنّ هذا الأدب الجديد قد فرض نفسه رويدا رويدا وأشاع نوعا من العقلانية في واقع الناس آنذاك حيث قدم لهم منهجا مغايرا في النظرة إلى الحياة بوصفها تستند لمعايير أخلاقية بالدرجة الأولى وعلى هذا الركن الركين في الأدب الإسلامي تأسست نظريته النقدية وبدأت سبلها تتضح حينما انعقد رهان التفاضل بين القصائد التي تعتمد مبدأ الصدق أو الكذب وذلك وفق ميزان الشرع الذي وصف الشاعر بالغواية إن لم يؤمن ويتوب وهذا ما يستوجب انصياعه لأحكام الإسلام التي من شأنها أن تكبح جماح مغريات نفسه وتهذب من نوعية أفكاره وطبيعة ألفاظه.

فقواعد النقد في الأدب الإسلامي قد انبنت أساسا انطلاقا من ضوابط الشعر ولم تكن هذه القواعد بمنأى عن المعيارية التي تحكم أدبه نفسه، وهذا ما ألجأ الأدب الإسلامي إلى الانضواء تحت عباءة سلطة الدّين لفترة طويلة امتدت إلى غاية مشارف العصر الحديث؛ غير أنّ ذلك لم يمنع حركية الإنتاج الشعري من العودة إلى سابق عهدها تطرق المواضيع التي تريدها موازة مع وجود تيار الأدباء الإسلاميين، ممّا يعني أنّ الجلباب الذي تمترس خلفه النقد في الأدب الإسلامي هو من حال دون تبلور نظرية كان بإمكانها أن تستثمر على نطاق واسع لو انفصلت بشكلها لا مضمونها عن المعيارية في توجيه مسار الأدب مهما كانت طبيعته وأغراضه.

وهذا ما سنحاول تبيانه من خلال هذا المقال التي سنتطرق فيها إلى موضوع النقد الأدبي الإسلامي وهل توجد فعلا ممارسة لهذا النقد في واقع الإبداع الفني المعاصر أم أنّ المصطلح هلاميٌّ يشوبه نوع من التضخيم.

أولا: إرهصات النقد الإسلامي وضوابطه

أ- مفهوم النقد الأدبي الإسلامي:

CC: BY-NC-ND 4.0-

يرتبط مفهوم النقد الإسلامي بمفهوم النقد عموما قبل أن ينفصل عنه في المرجعية و الأصول، فالنقد هو معاينة الإبداع شعرِه ونثرِه؛ وذلك بفحص نصوصها ، وإمعان النَّظَر فيها، وقراءتها قراءةً دقيقة مِن أجْل تَمييز جيّدها من رَدِيئها، وصَحِيحها مِنْ زائِفِها؛ لأنَّه في النِّهاية يَرمِي إلى تقدير العمل الأدبي تقديرًا موضوعيًّا صحيحًا، فعند الإحالة على هذا المفهوم البسيط للنقد تتحدد وظيفة النقد التي توضّح بدقّة ما يجب على الناقد المتمرس فعله عند ملامسة فكره لمنتج غيره وتتلخص وظيفة النقد في : (تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمته التعبيرية والشعورية وتعيين مكانه في سير خط الأدب وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته وفي العالم الأدبي كله ، وقياس مدى تأثره بالمحيط وتأثيره فيه ،وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك)[1].

فعند إضافة الإسلام إلى النقد ينشأ مصطلح آخر له خصوصياته التأصيلية وممارساته التطبيقية لكونه لا يتنكر لمبدأ الموضوعية في أسمى مقاييسها من جهة ،كما أنّ منهجه الذي يميّزه عن غيره يفرده عمّا سواه من الرؤى النقدية الأخرى من جهة ثانية لذا فمفهوم النقد الإسلامي لا يمكنه أن ينفك عن التوجيه الرباني والنبوي انطلاقا من مصدري القرآن والسنة، ويعمّ هذا النقد كل نظرة موضوعية إلى الأشياء وفق ميزان الشرع؛ فالنقد الإسلامي يشمل كل دراسة واعية لكل منتج له قيمة في معيار الفكر وما النقد الأدبي الإسلامي إلا شكلا من أشكال تلك الصور المتعددة للنقد الإسلامي العام، في مختلف القضايا والعلوم غير أن ارتباط النقد الإسلامي بالأدب لكون الأدب مرآة عاكسة لواقع الحياة الإنسانية بجانبيها المادي والمعنوي فأي رؤية نقدية للأعمال الإبداعية امتثلت قواعد الشرع ومبادئه في حكمها النهائي على جودة المنتج الأدبي وتوخت التوجيه الصحيح والمثل العليا أثناء النقد فهي حتما تندرج ضمن دائرة النقد الإسلامي وهناك مصطلحات مقاربة لهذا المفهوم كالنقد الملتزم أو النقد الأخلاقي، ممّا يعني أنّ مدار النقد في الأدب الإسلامي له ضوابط يندر أن تتوافر في غيره فالالتزام مصطلح دارج في النقد الغربي لكن بدلالة مختلفة لا تتقاطع مع المفهوم الإسلامي[2]

وأهم خاصية في النقد الإسلامي هي محاولة النأي عن المعيارية والمقصود بالنظرة المعيارية" ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعها في منظومة القيم التي يتخذها ذلك التفكير من مسلمات منطلقاته حيث يستسلم بالكلية للذاتية وهذا في مقابل النظرة الموضوعية التي تبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية وتحاول الكشف عما هو جوهري فيها." لأنّ الموضوعية ترادف المصداقية في النقد الإسلامي وما يفضي إلى النزاهة العلمية في النقد هو مبدأ الإنصاف الذي

CC BY-NC-ND 4.0

[1] سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق ،القاهرة – مصر ، ط8 ، 1424 هـ /2003م، ص7

[2] سيد سيد عبد الرزاق: (مصطلح الإلتزام في النقد الإسلامي المعاصر دراسة في المفهوم ومجالات الاستخدام) ؛ مجلة إسلامية المعرفة العدد 58 السنة 15 1430هـ/2009م ص55

لا يتحقق إلا بالعلم ودقة الاستقراء يقول الآمدي ت-370هـ:((أن تمعن النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف))[3] .

ب- أبجديات النقد الإسلامي وأدبياته:

1- ينبني النقد الموضوعي على الحيادية والإحاطة التامة بالموضوع المنقود فلا تتجاوز فكرة المبدع ثقافة الناقد فيتوهم هذا الأخير أنه أدرك غايته من حيث قد هدّها لعدم مواكبة الحقائق المتناولة في العمل الإبداعي فالمفارقة التي تبين تفاوت الناقد والأديب في مستوى معين، فإن هذه الإشكالية تقحمهما في صراع والنقد هدفه التقويم وإعادة قراءة النص بأدوات فكرية أخرى من شأنها أن تضيف جديدا لا أن تهدم وتستنقص جهد المبدع.

2. لا بدّ من التواصل العلمي بين النقاد والمبدعين لكونهما من رحم واحد حيث تجمعهما علاقة الاكتشاف والاختراع في مجال المنتج الفكري في صورته الفنية التي يتذوقها كليهما: فالأديب ناقد بالفطرة أما الناقد فيمتلك حسّ الأديب وملكته في عمق النظر إلى حقائق الأشياء فلا تفاضل بينهما.

3. الموضوعية هي أساس النقد الصحيح حيث لا مجال فيه للمزايدات والثناء والإطراء لأن اعتماد مثل هذه الأساليب تضفي نوعا من الضبابية على النقد وتجنب إنزال الأعمال الإبداعية منازلها، ويمكن للنقد إذا ما لجأ إلى هذه الأساليب أن يواري الحقيقة ويضمر القيمة العلمية فينعكس ذلك سلبا على مكانة العمل الإبداعي ورتبة مؤلفه فيظهر حينئذ المتسلقون في الساحة الأدبية باسم الإبداع والتستر خلف مدح وثناء أقره ناقد معروف له حظوة في مجال النقد

4 ضرورة تمثل الأخلاق الإسلامية أثناء ممارسة العملية النقدية فالابتعاد عن الأحكام المسبقة والنعرات الضيقة والمشاحنات الفردية والنزعات القطرية فالتنائي عن هذه الشوائب والعوارض حتمية لا مناص من التوقف عندها ومراعاتها حتى لا تشوب النقد أيّ قوادح تطعن في مصداقيته وتفسح المجال واسعا لسفاسف الأمور التي تعكّر صفو النزاهة العلمية.

5- النقد لايقوم على معيارية الذوق فحسب بل إنّ قواعده علمية بالدرجة الأولى مصدرها أحكام الشريعة والسنة النبوية الشريفة بالإضافة إلى المعارف المسبقة التي لها علاقة بموضوع النقد، فلو تمّ التحاكم إلى الذوق فقط لكان ذلك مدعاة للاختلاف من جهة وغمط الحقّ من جهة أخرى.

6- تقمص فكرة الموضوع المنقود؛ بمعنى أنه يجب على الناقد أن يضع نفسه موضع المبدع ويفكر وفق وجهة نظره الخاصة ويحاول قدر الإمكان فهم مراده؛ ففهم المنطلقات الفكرية والخلفيات المذهبية للمبدع قبل نقده أمر حاسم ومهم للوصول إلى نقد بناء أو فعّال، فكثيرا ما يفشل النقاش أو النقد بسبب عدم فهم الطرف الآخر أو تعمد عدم الفهم لفكرة الموضوع أو أساسه أو حتى المراد منه.

[3] أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق أحمد السيد صقر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط1، 1994م، 441/1

7 – انتقاد الفكرة وليس مبدعها؛ لأنّ من أسوء الانتقادات هو النقد الموجّه للذوات والبعيد كل البعد عن الموضوعية؛ فتتبع العثرات الكاشفة عن سقطات الفرد الشخصية لا يمكنها إلا أن تضعف من عيار النقد وتقلب ظهر المجن للناقد نفسه لكونه هتك مستورا لا يعني العمل الفني بل يثبطه ويهمشه، فإذا انصرف الناقد إلى التحري عن عورات المبدع فذلك إيذان بضعف مستواه العلمي وأنّ بضاعته في النقد مزجاة.

8 – توخي النصيحة في النقد بوصفها من أساسيات الدين الإسلامي وهذا ما يميز النقد الإسلامي عن غيره، فهو لا يبتغي التشويه والتشهير بل إن منتهى سؤله هو المطارحات العلمية و النقاشات الهادفة التي تفضي في النهاية إلى تبلور نقد بناء، ومظهر النصيحة في هذا الموضع هو أن يكون النقد بأدلة واضحة تسد مسد الخلل وتعوض النقص الذي يجعل العمل الإبداعي متكاملا بجهدي صاحبه والناقد الذي أصلح خلله ووجه مسار تشييده.

9– اعتماد مبدأ خلاف التنوع لا خلاف التضادّ؛ فإثراء العمل الإبداعي مهمة الناقد المتمرس الذي ينصب نفسه قارئا مستفيدا من المنتج الجديد قبل كل شيء ثم يلتفت إلى معاينة الجوانب الإيجابية التي ميّزت العمل، لينتقل الناقد بعد ذلك إلى محاورة المبدع قصد التجاوب معه في مراميه أو مساجلته لكي ينتبه إلى أفكار جديدة يمكن أن تغذي موضوعه وتجعله أكثر مطاوعة لفكر غيره.

10 – جدوى النقد الإيجابي هي إذكاء روح المنافسة وتقوية نفسية المبدع؛ فكلما تصدى النقاد لأعمال مبدع ما إلا زاده ذلك طاقة وقدرة خلاقة تزيد من نوعية إنجازه وكمّ إنتاجه، فالعمل الإبداعي إن لم يتعرض إلى النقد وئد في المهد ولا اعتداد بكثرة القرّاء إذا لم يعبروا عن آرائهم فيما يقرؤون.

11 – لا ضرر في أن يستقي النقد الإسلامي بعضا من معايير النقد الغربي ويستفيد من تجارب أعلامه إن لم تكن تلك المقاييس تنافي مشروعه الحضاري لاسيما أن نظرة الإنسان إلى الفن أصالة لا يمكن أن تتباين، فالتعارض القائم حاليا بين نقاد الأدب الإسلامي والنقاد الغربيين مرده أساسا إلى الاختلاف في نوعية الموضوع المطروح للإبداع ومرجعيته الفكرية التي يمكن أن تعارض مبدأ من مبادئ العقيدة في الديانات السماوية، لكن لا تباين بين النقاد في قيمة بعض الأعمال الإبداعية التي بلغت شأوا في تاريخ الإنسانية ولم تفقد قيمتها الفنية في نظر كل من يقرؤها.

12 – أن تكون مقاييس النقد الإسلامي عالمية وإنسانية في بعدها فذالك هو المبتغى والهدف المنشود فلا يقتصر النقد على ما هو عربي أو إسلامي في انتمائه، لأن وضع مثل هذه الحدود من شأنه أن يضيّق من رسالة الدين الإسلامي نفسه ،كما أنه من شأنه أن يجعل النقد الإسلامي خاصّا بدوائر مبدعيه وأنّ مقاييسه عاجزة على أن تلاحق الجديد الذي لا يتعارض مع الفطرة الإنسانية في أصولها.

CC: BY-NC-ND 4.0

13- أن لا يتورط الناقد في الصراعات الضيّقة من خلال توظيف بعض المصطلحات المستهجنة أثناء نقده والتي تعبر عن مظاهر التخطئة والتجريح والقدح[4] .

ج- مقاييس النقد في صدر الإسلام

1- الالتزام بمبادئ الدين والخلق:

الالتزام بمبادئ الدين والخلق وجه الدين الجديد الشعراء والأدباء إلى ضرورة الالتزام بالأفكار والاتجاهات التي تلائم روح الإسلام الدينية والأخلاقية ، فإن هذا المقياس سبب تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة، فإنه مقياس دقيق، لأنّ الصدق الفني هو سبيل الجمال في الفنون جميعا.

2- الموضوعية:

يعتمد على نقد اللفظ والمعنى والأسلوب والمنهج والغرض وتحقيق السماحة في اللفظ ، والخلو من التعقيد والتوعر في التعبير، والتزام الطبيعة في الأسلوب، والاعتدال والتباعد عن الإفراط والغلو في منهجه، وتفضيل الإبداع والاختراع في صوره ومعانيه، حتى أصبحت هذه النظرات والمبادئ رائدة لتطور النقد الأدبي، وقيامه على أسباب موضوعية مفصّلة وأصول منهجية واضحة.

3- وضع الأسس النقدية للموازنات الأدبية:

وضع علي بن أبي طالب أساسا للموازنة الشعرية، أساس أنه لا تفاضل بين الشعراء إلا إذا جمعهم زمان واحد وغاية واحدة، ومذهب واحد. فإن تساووا في ذلك كله فأجودهما الذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة.[5]

إنّ هذه المقاييس مثلت المنطق الأساس لكل ناقد إسلامي ولم تمنع هذه المقاييس من ظهور أحكام نقدية متميزة تفرد كل مجتهد على حدة، وأولى تلك الأحكام الخاصة ما أرساه النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يعرض لسماع الشعر وتقويم مواضع الفسائد وتصحيح معانيها ويمكن تلخيص أهم تلك الأحكام على النحو الآتي:

تتمثل النظرة النبوية للنقد:

في ثلاثة أمور:

1- نقد المضمون:

[4] هناك مصطلحات تستخدم في النقد لا تمت إلى للموضوعية بأي صلة بل تذكي الضغائن الدفينة لا غير ؛ ينظر : صالح آزوكاي :مصطلحات التخطئة الشعرية في التراث النقدي" بحث في العناصر النقدية والموارد الفكرية" ، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 1431هـ/2010، ص597

[5] مصطفى عبد الرحمن إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة والنشر، العربية السعودية، (د.ط)، 1419هـ/1998م، ص91

CC: BY-NC-ND 4.0-

نقد المضمون عند النبي صلى الله عليه وسلم كان نقدا توجيهيا دفع الشعر للاغتراف من بحر العقيدة والنهل من ينبوعها الثريّ وكل ما اتفق معها فهو الحق، وكل ماجافاها أو اعتد بقيم تتنكب لها مرفوض مستهجن، يحتاج إلى توجيه وتصويب.

2- نقد الشكل:

أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم أقوال حددت بعض الملامح لفن القول، ومن هذه الملامح :

- الطبع والتكلف:هذا مقياس نقدي دقيق.

- جمال اللفظة واختيارها:

الناظر في كلامه صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه كان يتخير في خطابه أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا.

- الإيجاز:

الواضح في نظرته صلى الله عليه وسلم إلى فنّ القول ميله إلى الإيجاز ، وعدم التزيد والتطويل، وهذا شئ طبيعي لأن الله منحه كمالَ العقل، وغلبة فكرة لسانه،فقل كلامه وتنزه عن الحشو، وبرئت نظراته النقدية من شوائب الإطالة.

3-الحكم على الشعراء:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الفصحاء والبلغاء ذا حاسة نقدية متميزة، وقد كان عارفا بمكانة الشعراء وأقدارهم ومدى ما يمكن أن يبلغه شعر كل منهم.

فقد أثرت عنه أحكام نقدية دقيقة على شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة وهم (حسان بن ثابت ،عبد الله بن رواحه، كعب بن مالك كما أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم،أحكام نقدية على عدد آخر من الشعراء، من أبرزهم (امرئ القيس).

النظرة العمرية في النقد الأدبي:

تتمثل في أمرين:

1- النظرة الموضوعية:

وجد في صدر الإسلام من استطاع أن يضع بنقده الأسس الجمالية للشعر، على ضوء المبادئ الخلقية الإسلامية، وكان أبرز هؤلاء عمر بن الخطاب الذي أثرت عنه أخبار عديدة تدل على فطنته وثقافته وطبعه وحبه الشديد للشعر، حتى كان موضع إشادة وتنويه من السابقين واللاحقين على السواء.

CC: BY-NC-ND 4.0

وليس من نقاد الأدب العربي من لم يحذر من التوعّر والتعقيد، فبشر ابن المعتمر في صحيفته المشهورة[6] في البلاغة يرى أن التوعر يسلم إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني ويشين الألفاظ.

والحق أنّ عمرَ أوّلُ ناقد موضوعي تعرض نصا للصياغة والمعاني، وهو أول من أقام حكما في النقد على أصول متميزة.

2- النظرة الدينية الخلقية:

كانت نظرات عمر النقدية لمضمون الأدب مستمدة من روح الإسلام وقيمه ومصلحة المسلمين، وهو المنهج الذي أرسى قواعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا كان عمر يمثّل بنقده التلميذ النابه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما أرساه لنا من أسس النقد الأدبي الإسلامي[7].

ثانيا:المبادئ النقدية الأصيلة في الإسلام

أ- الصدق الفني والخلقي في الإبداع الأدبي الإسلامي

موافقة الحق للفن لا تعارض فيه لأنّ الحق يرادف الدعاية للمثل العليا التي تختصرها الأخلاق بجميع قيمها فلا مفارقة بين الصدق والفن الراقي[8]حتى وإن ارتبط الفن بالمشاعر النفسية التي لا مجال فيها للحقائق المطلقة، غير أنّ الذوق الفني في العمل الأدبي وفق الرؤية الإسلامية ضرورة لا بدّ منها لكونها مبدأ أساس، حيث لا يمكن التغاضي عما يشين بالصدق والخلق الحسن أو يخدش فضيلةً متعارف عليها دينا وعرفا، فالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده لم يتوانوا عن توجيه النقد اللاّذع لكل من جانب الصواب في القول أو انحرف بشعره عن الجادة

ب- القوة والوضوح في النتاج الأدبي مبنى ومعنى

فالمتأمل في تاريخ الشعر الإسلامي وأدبه عامة يلمس فيه القوة والوضوح في المبنى والمعنى، وهو ركن متين عميق التأثير بجرس حروفه وتناغم أوزانه وسلاسة ألفاضه وعمق معانيه، كيف لا والذين نظموه وقرضوه بداية كانوا عربا أقحاحا تميز الفصاحةُ كلامهم لكونهم اتخذوا من القرآن والحديث أنموذجا يحتذى، ولم يختلف النقاد قديما وحديثا في أن هذين المصدرين هما أبلغ ما نطقت به العرب من جيّد كلامها فلا تعارض بين هذا المبدأ وما علق بالشعر في صدر الإسلام من لينٍ وضعف[9].

ج- الأصالة والعراقة

[6] ينظر المبادئ النقدية في صحيفة بشر بن المعتمر؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط(، (د.ت)، 135/1

[7] مصطفى عبد الرحمن إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مرجع سابق، ص68-90

[8] محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ، دار الشرق، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص265-266

[9] منذر معاليقي: دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط1، 2004م، ص61

CC: BY-NC-ND 4.0-

أمّا الأصالة والعراقة بوصفها مقياسا نقديا إسلاميا ما هي إلا قياس المدى الذي يحققه صاحب التجربة الأدبية شاعرا كان أو ناثرا من ابتكار في المعاني والصور ، بحيث يبدو أصيلا في نتاجه لا مقلدا، فالمصادر الجديدة المتمثلة في القرآن والحديث وفكر المجتهدين من العلماء في مختلف المعارف المرتبطة بالشريعة الإسلامية ، هذه المصادر يمكنها أن تكون معينا لا ينضب لمستحدث الشعر الإسلامي؛ فالناقد والأديب كلاهما ينهلان من الفكر الإسلامي على أنه الأصل في توجيه مضامين النصوص الإبداعية ويكفي دليلا على ذلك ما استفاده النقاد في الأدب الإسلامي من مقاييس استوحوا قواعدها لا من القرآن والحديث فحسب بل من الآراء الفقهية وأصول المذاهب الكلامية التي دارت بينها مناظرات أفرزت عديد الأساليب النقدية وطرائقا في التحليل والتوجيه لم يكن للناس سابق عهد بها.

د- الشمول والتوازن

إن مقياس الشمول والتوازن يفرض على الأدباء المسلمين أن يكون إنتاجهم تعبيرا عن الشمول المتوازن في التصور الإسلامي ،وهم يحسنون صنعا إذا أدركوا شمولية الإسلام في آدابه ومعاملاته وعباداته بدون فصل بينهما ووعوا توازن الإسلام وتناسقه في مجالات عديدة ، كالتوازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله ومقام الإنسان الكريم في الكون ، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة ، والمشيئة الإنسانية المحدودة ، والتوازن في علاقة الإنسان بربه بين موحيات الخوف والفزع ، وموحيات الأمن والطمأنينة[10] ، إن الأدباء المسلمين حتى يصدر أدبهم عن مصدر شمولي متوازن فإنهم بذلك يحققون عملا أدبيا رائعا خالدا.

هـ- الواقعية الإيجابية المثالية

يبدو في نظر النقاد غير الإسلاميين أنه لا يمكن الجمع بين الواقعية والمثالية لأن الأولى تعني مجارات رغبات النفس ومتطلبات الحياة الإنسانية بما يحقق للمرء متعته دون الالتفات إلى ضوابط الدين فهي توافق فكرة المثالية التي يصعب تجسيدها في واقع الحياة، فإذا سعى الإنسان للجمع بينهما ناقض نفسه وأوردها عالم المفارقات، غير أنّ الإسلام بقيمه ومبادئه لم يكن له ليتعارض مع واقع الإنسان إذا ما كان ذلك الواقع منسجما مع الفطرة التي جُبل عليها المرء.

أمّا مفهوم الواقعيَّة في الفكر المعاصر: فإنها رادفت عدة مصطلحات أخرى من البنية اللفظية نفسها فقد اشتهرتْ وشاعتْ في العصر الحديث كلمات كالواقع والواقعي، والواقعة، والواقعية، لا ككلمات لغويَّة لها دلالاتها المفردة، بل بوصفها مصطلحات ومفاهيم مذهبيَّة في الأدب،والفنِّ، والفلسفة، والسياسة.

(فالواقعية) Realism -[11]بوصفها مصطلحا مذهبيا - ظهرت في لحظات التحولات الاجتماعية والفكرية في الفكر الغربي، ضمن حركة الطرد والاستبعاد للتصوُّرات التي تحلِّل الحوادث والظواهر وتُفَسِّرها وفق منظور لاهوتي كنسي، أو

[10] سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي و مقوماته ، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط8، (د.ت)، ص67

[11] عزة محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، (د.ط)، 2002م، ص484

مثالي طوباوي[12] وأخذت الواقعية مجموعة جديدة منَ القِيَم المعرفيَّة والاجتماعية، تعمل على تحرير الإنسان منَ القيود اللاهوتيَّة، وإحلال الواقع الموضوعي المادي بوصفه مرجعا وحيدا للإنسان؛ يستمد منه قيمه وتصوُّراته، وإعادة الاعتبار إلى العقل الإنساني، وإلى الشرط الاجتماعي أساسًا لتكوين العقل والإنسان، وتمجيد العقل بوصفه قيمة عُليا، وجعل الإنسان صانعًا للتاريخ وفْقَ القانون العلمي القادر هو على اكتشافه في الواقع المادي المحسوس.

وشاع أنَّ الإنسانَ "الواقعي" هو الذي يقبل التعامُل مع الواقع ويفهمه ويستوعب ما فيه؛ للاستفادة من المتاحات كما هي، ولا يرفضها تبعًا لعقيدته أو مرجعيته الفكريَّة، والذي تَتَحَدَّد علاقته بالواقع علاقة الموجودة فيه، وتطويره وفق ما يسمح به الواقع نفسه، وليس تغييره على مقتضى تصوُّر أيديولوجي سابق[13]غير أنّ مثل هذا المفهوم لا يمكنه أن يتفق مع النظرة الإسلامية بل يخالفها تماما؛ لأنّ فكرة الصراع مع الباطل ما هي إلا غاية متوخاة لأجل استنهاض الواقع والعمل على إصلاحه وتقويمه، والسمو به إلى المثل العليا والغايات المنشودة، وهذا ما تعنيه المثاليَّة في الإطار الفكري للتصوُّر الإسلامي، إنها المثالية الواقعية التي تفرض على الفنان التعامُل مع الواقع بموضوعية كاملة، والرقيّ به في الوقت نفسه إلى المثل العليا التي تحقق رضا الله ورضوانه، فالفنان المسلم رجل يعيش على الأرض بروح تُحَلِّق في السماء، فهو يتفاعل مع الواقع الاجتماعي بعقيدة ربانية ومنهج إلهي؛ ليسمو به إلى غاياته التي يتطلع بها إلى عالَم الخُلُود الذي سوف يستقر به في نهاية المطاف

و- الالتزام الإيماني

إنّ الحديث عن الالتزام الإيماني بوصفه مبدءا نقديا يجعلنا نقرر صراحة أنه على الأديب أن يوائم بين حرية التعبير ومسؤوليته ، فليست الحرية إطلاقَ العنان للرغبات والشهوات وتحقيق كل مبتغى نفسي،ولكنها الحرية التي تعترف بحريات الآخرين ، ولا تتعارض معها وتتعدى عليها ، فهي في داخل هذا الإطار تتعامل وتتفاعل مع إدراك كامل لأبعاد المسؤولية ، ولا جدال في أن طبيعة المسلم الذي يعتقد أنه ((لاإكراه في الدين))، ولا قصر فيه ستكون عونا له على تفهم مبدأ الالتزام القائم على الإقناع والحجة ، لا الالتزام المعتمد على القهر والإكراه والبون شاسع بين التزامنا والتزامهم[14]

ز- التجديد الملائم بما لا يجافي القيم الإسلامية

[12] هذا مصطلح يطلق على افتراض أماكن مثالية لا وجود لها في الواقع أي أنها من نسج الخيال ومنها الطوباويون الذين اعترفت الكنيسة الكاثوليكية بقداستهم من دون إعلان تكريمهم في الكنيسة جمعاء فهم أشبه بالمتصوفة في الفكر الإسلامي مع بعد الفارق لكونهم ينشدون عوالم غيبية ولا علاقة لهم بالواقع؛ ينظر: المنجد أنطوان نعمة وآخرون: في اللغة العربية المعاصرة: ، دار المشرق بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص922

[13] ينظر رينيه ويليك: أشكال الواقعية تبعا للمذاهب الفكرية عند الغرب؛ مفاهيم نقدية، ترجمة؛ محمد عصفور، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1407هـ/1987م، ص182

[14] أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين (القسم الثالث النقد الأدبي الإسلامي) ، دار بن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، 99/3

CC: BY-NC-ND 4.0-

التجديد فكرة أساس في الإسلام لكونه نقل البشرية من عالم يسوده الجهل إلى عالم يعتمد حرية الفكر في استحداث كل ما من شأنه أن يضيف قيمة تفيد الإنسان وطبيعة هذه القيمة لا تنحصر في المضمون أو الشكل بل تشملهما معا، فما أتى به هذا الدّين من أفكار جديدة لا يمكن وقفها على الفقه أو أصوله ونمط السير والأحاديث، بل إن مجالات التجديد امتدت لتشمل الشعر نفسه حيث ظهر شعر الزهديات مثلا وهو الذي استحوذ على قلوب قرائه بما تميز به من عذوبة اللفظ ورونق الإيقاع.

- **ثالثا: مجالات النقد الإسلامي ومستوياته**

لم تتشكل الرؤية النقدية الإسلامية المعاصرة في مجال الأدب نظرا لاختلاف أصولها الأولى عن أسس النقد الغربي الذي سايرته عقول النقاد العرب في المشرق والمغرب، فانعدام أدب عربي أصيل يماثل التطور المتسارع في أحداث الواقع والذي استجاب له أدباء الغرب فهذا التلكؤ هو الذي أسهم في إقبار النقد العربي المعاصر عامة والنقد الإسلامي خاصة، فالتبعية المطلقة للمدارس الغربية فيما تنتجه من مناهج نقدية وتفرزه من مذاهب فكرية كان لها كبير الأثر في انطماس معالم الإبداع العربي الأصيل، ممّا أقحم الحركة النقدية في دوائر مغلقة سمتها أنها لم تستطع الانفكاك عن اجترار الموروث القديم في أحسن الأحوال وإن تجرأ أحدهم على التجديد وحاول التملص من ربقة فكر القدماء وسلطة نصوصهم النقلية فالسبيل إلى ذلك بداية هو تقويض القواعد النقدية التي أقرها علماء السلف لا لشيء إلا لكونها تتعارض مع ما استحدثه الغرب المعاصر من أساليب وطرائق نقدية لم يكن لها سابق عهد بالأجناس الأدبية المعروفة عند العرب قبل ظهور بوادر النهضة المزعومة في المشرق العربي.

فأصول النقد الإسلامي التي تحددت في مطلع صدر الإسلام وجدت مدونات جاهزة تنطق بلسان أمة شكلت حاضر واقعها بنفسها وتجاوبت مع منهج دينها الذي جدّد نمط حياتها وأخرجها من عصور الجهالة والظلم ونقلها إلى مصاف الرقي الحضاري حينما ارتضى لها شرعة الأخلاق مذهبا في الدارين حيث استحدث الإسلام قيما لم يكن للإنسان أن يهتدي إليها لا في القديم ولا الحديث فهو ـ أي الإنسان ـ ما زال ينظر إليها على أنها مثل عليا لا سبيل لتجسيدها في الواقع، غير أنّ ذلك الفكر الجديد الذي طور العرب وغير أسلوب حياتها بالكلية استطاع أن يترك بصمته في ثقافة الشعوب العربية إلى وقت متأخر جدا فلولا تشربهم لمبادئ الإسلام لما تغيرت أحكامهم النقدية في كل مناحي الحياة لاسيما النقد الأدبي الذي عرف تطورا ملحوظا في صدر الإسلام وما بعده من عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

والمتتبع لحركية النقد العربي عموما والنقد الإسلامي خصوصا في العصور المتقدمة يلاحظ أنّ مجيء الإسلام قد أكسب الدرس النقدي نشاطا فاعلا غير مسبوق إمّا عند أولئك الذين تبنوا مبادئه أو عند أولئك الذين نزهوه بزعمهم عن خوض مجال الفن والمعارك النقدية ،فحينما ولّى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعض خلفائه الراشدين قلب جملة من النقاد ظهر المجنّ للمبادئ النقدية التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلّم وخلفاؤه ورأوا فيها المثالية التي لو تحاكم إليها الأدب لقصر عن غايته وفقد روحه التي تجافي الخيرية فهو ـ أي الأدب ـ أقرب إلى منافذ الشر منه إلى منافذ الخير وقبل الحديث عن أثر هذه

CC BY-NC-ND 4.0

الدعوة وما انجرّ عنها من مجافاة لمبادئ الدين الإسلامي في الإبداع الفني أدبا ونقدا قديما وحديثا لا بأس من التذكير بالقضايا التي انحصر فيها مجال النقد قديما والتي لم تر في غير الشعر فنّا إبداعيا لكون هذه القضايا انصبت مجملها على المدونة الشعرية وأغفلت الخطابة مثلا بوصفها أشهر فن عند العرب بعد الشعر .

أ – قضايا النقد في الأدب العربي القديم

(1) قضية اللفظ والمعنى.

(2) قضية المطبوع والمصنوع أو الطبع والصنعة.

(3) قضية الوحدة والكثرة في القصيدة.

(4) قضية الصدق والكذب في الشعر.

(5) قضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين.

(6) قضية السرقات الشعرية.

(7) قضية عمود الشعر.

(8) قضية العلاقة بين الشعر والأخلاق أو الشعر والدين[15]

فعند قراءة هذه المبادئ تبرز الإشكالية الكبرى التي امتدّ مداها وتأثيرها إلى حاضر النقد المعاصر فطرفا الإشكالية هما مسألة الصدق والكذب في الشعر ومسألة علاقة الشعر بالدين أو الأخلاق والتي استبدلت بلفظ أوسع هو علاقة الفن عموما بالدين ، هذه العلاقة التي فرّقت بين متلازمين في حقيقة الإسلام حيث لا تعارض بينهما إلا إذا أراد الإنسان أن يجعل من الفن مسرحا لمبارزة الله بالمعاصي والخروج عن حياض الدّين لتحقيق مفهوم الحرية والواقعية في المنتج الأدبي، ولعلّ شواهد هذا العداء متجلّية في الأجناس الأدبية المعاصرة سواء أكانت غربية أو عربية لأنها مستمدّة من مشكاة واحدة وهي المذاهب الفكرية الغربية التي تتنكر لكلّ دين وشريعة سماوية وتجعل من الإنسان صانع راهنه بمعزل عن أي مؤثّر خارجي، فإن وجد هذا المؤثّر في بعض خيالاتهم لا يمكنه أن يكون من عوالم الغيب فالمبدعون المعاصرون أدباء ونقادا استهوتهم الأساطير اليونانية مثلا لا لشيء إلا لكونها استحضرت عالم الآلهة في الواقع وجعلت منه مسرحا للصراع المبني على تنازع ملذات الحياة الدنيا فالمفارقة التي تجمع بين الفن والدين في نظر النقاد قديما وحديثا لم تكن وليدة الحاضر بل إنّ جذورها متغلغلة في تاريخ النقد العربي وبها يعضد المعاصرون من العرب موقفهم من هذه الرؤية النقدية التي تتيح لهم فرصة التواشج مع نقاد الغرب.

CC: BY-NC-ND 4.0-

[15] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار الثقافة ، بيروت . لبنان ،ط4، 1983م ، ص17

ب – منشأ إشكالية : علاقة الشعر بالدين أو الشعر بالأخلاق

تبدأ هذه المشكلة مبكرة في تاريخ النقد العربي بالفصل – في الموضوع – بين الشعر والدين، فالشعر عند الأصمعي مجاله الشر. وإذا تناول الموضوعات الأخلاقية والدينية (الخير) ضعف وتهافت،[16]وقد كان هذا المعنى واضحاً عند أشد الأخلاقيين تزمتاً، ولهذا أخرجوا من الشعر ما كان وعظاً أخلاقياً، وعندما استدار النقد إلى ما يشبه الخاتمة عند ابن خلدون[17] ظللنا نسمع أن من يحاول القول في الزهديات والربانيات والنبويات يسقط سقوطاً ذريعاً، ويعلل ذلك بسبب ابتذال معانيها بين الناس، فالالتفاتة صحيحة، ولكن التعليل ربما لم يكن كافياً. ولكن العلاقة بين الشعر والدين (أو الشعر والأخلاق) اقترنت لدى النقاد بموقف دفاعي عن الشاعر – دون الشعر – ، فإذا عيب أبو تمام بأنه قليل التدين لا يؤدي الصلوات في أوقاتها. دافع عنه الصولي بأن الدين ليس مقياساً في الحكم على الشاعر،[18]وإذا عاب بعضهم المتنبي بأنه مستهتر في شعره ببعض الشؤون الدينية دافع عنه القاضي الجرجاني – لا عن شعره – لأنّ الشاعر لا يعاب لدينه، إذ لو كان الأمر كذلك لأطرّح الجاهليون وقد كانوا وثنيين أو لأطرّح شعر أبي نواس وكان شديد التهتك والاستهتار[19] . فالفصل في الموضوع بين الدّين والشعر لم ينضج إلا عند الأصمعي في نظر " إحسان عباس" الذي استفهم عن بؤرة الإشكالية حينما قال: لكن السؤال هو: ما هو موقف الناقد إذا كان يقرأ شعراً فيه تهجم على بعض المواضعات الأخلاقية أو المبادئ الدينية؟ هنا يتسع البون بين النظرية والتطبيق، ونجد نقاداً مثل الباقلاني وابن شرف وابن بسام أخلاقيين في معيارهم:[20] فالباقلاني يعيب معلقة امرئ القيس من زاوية أخلاقية[21]ولا يكتفي ابن شرف بذلك بل يقول: إنّ النظرة إلى بعض القصائد من الزاوية الأخلاقية إنما هي من صميم الحكم الفني على الشعر، [22] وتحس لدى ابن بسام تحرجه من الناحية الأخلاقية في مقاييسه النقدية وضيقه وتبرمه بكل شعر يشم منه الإلحاد أو استعمال المصطلح الفلسفي [23]وللعلاقة بين الشعر والأخلاق زاوية أخرى يمثلها المتأثرون بالثقافة اليونانية. فقد تنبه بعضهم من خلال الفهم الخاطئ لغاية المأساة (التراجيديا) إلى أن الشعر اليوناني كان يقصد إمّا إلى الحث على فعل أو الردع عن فعل (أي أن محوره هو الفضيلة) وكان في ثنايا ذلك اتّهامٌ للشعر العربي، لأنه يتحدث عن الظلم

[16] أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ص78

[17] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،دار الفكر ، بيروت، لبنان،ط1، 1424هـ/2004م،ص645.

[18] أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام وآخران، دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1980، ص35.

[19] علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، ط1، 2006، ص24.

[20] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص23

[21] ينظر أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن ، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط5، 1403هـ، ص158

[22] ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط5، 1401هـ/1981م، 127/1

[23] ينظر: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2000م،195/2.

CC BY-NC-ND 4.0

والتهتك والإغراء بالرذائل ومحاكاة الدواب أحياناً. ولهذا كان ذلك الاتّهام يعني أن الشعر العربي – في جملته – مناقض للأخلاق ويتبدّى هذا الاعتقاد على أتمّه عند المتأثرين بجمهورية أفلاطون مثل مسكويه وابن رشد، فهذان الفيلسوفان اتخذا كلام أفلاطون في نقد الشعر اليوناني سبيلا إلى تطبيق نظريته على الشعر العربي، ولما كانت الغاية النهائية من هذا تربوية. فإنّ كلاً منهما نصح أن يجنب الناشئة الشعر الذي يتحدث عن النسيب أو مدح الطغاة، لأنّ ذلك ذو أثر رديء في نفوسهم، [24]ويشبههما في هذا الموقف ابن حزم الذي كان خاضعاً لنظرته الفقهية في الحكم على الشعر. فقد نفى منه أكثر أنواعه لاعتقاده أنها تضر بأخلاق الناشئة؛[25]وحيثما كانت الزاوية في النظر إلى الشعر هي " التربية " نجد الناظرين إليه يستبعدونه، لإقناعهم أنه من العوامل الهدامة أخلاقياً. وخلاصة ذلك كله:

1. إذا كان الناقد يدافع عن الشاعر أنكر التعارض بين الشعر والأخلاق.
2. إذا أخذ في النقد التطبيقي تحول بالنقد إلى المقاييس الأخلاقية.
3. إذا تحدث عن التربية جعل(الشعر ما عدا القليل منه) مسئولا عن التحول بالنفس نحو الشر[26] .

أما قضية الفصل بين الشعر والأخلاق عند الأصمعي الذي كان يتحرج تديناً من رواية أي شعر فيه ذكر للأنواء ، يقيم حداً فاصلاً بين الشعر والدين، ويراهما عالمين منفصلين لا يتصل أحدهما بالآخر، وفي اتصالهما حيف على الشعر نفسه، ومن ذم نسمعه يقول في لبيد راوياً هذا القول عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء: " ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير، ولكن شعره رحى بزر " ، يريد أنّه ذو جعجعة وطنين، وليس وراءه كبير شيء؛ ويسند الأصمعي رأي أستاذه بقوله: " شعر لبيد كأنه طيلسان طبري [27]يعني أنه جيّدُ الصنعة وليست له حلاوة " . وأوضح من هذا في تبيان موقفه من العلاقة بين الشعر والدين، قوله الذي لا يزال يقتبس دائماً في هذا المعرض: " طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لانَ، ألا ترى أن حسّانَ بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره في باب الخير – من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم – لان شعرُه وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان ".[28]

ففي هذا النص الغريب نجد الأصمعي قد قصر مجال الشعر على الشئون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية، وحدّد موضوعاته التي تصلح له، فالأصمعي لا يتطرق في نقده إلى ما يحيله على مصادر الشرع كالقرآن والحديث خشية أن

[24] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ، مرجع سابق، ص24

[25] ابن حزم: رسائله ، تحقيق؛ إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان،(د.ط)، 1981م، ص65–67.

[26] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق،ص24

[27] عبد الملك بن قريب الأصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق، ش.توري، قدّم له صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديد، بيروت–لبنان، ط1، 1980، ص20

[28] ينظر: المرزباني: الموشح، مصدر سابق، ص78

CC: BY-NC-ND 4.0-

يصطدم بأصول الحق والخير فيهما حيث إنه كان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن [29]وقد جعل صفة " اللّين " عالقة بالموضوعات المتصلة بالخير والدين. فلدينا هنا اصطلاحان غامضان بعض الغموض هما " اللين " و " الخير " ؛ فأمّا " اللّين " فقد وضع الأصمعي إزاءه " طريقة الفحول[30] " ثم لم يتجاوز حدود الموضوع، ولكن كلمة " اللّين " سترد عند بعض النقاد مرادفة لضعف الأسر، يقول ابن سلام: " وأشعار قريش أشعار فيها ليّن فتشكل بعض الأشكال "[31]، ولا بأس أن نفهمها على النحو نفسه عند الأصمعي. وأما كلمة " الخير " فليس يقابلها لفظة " الشر " وإن روي قول الأصمعي من بعد " الشعر نكد بابه الشر " ، وظني أن هذه الرواية غير دقيقة، وإنما ترجمة متأخرة بعض الشيء لمفهوم قول الأصمعي، وإنما الخير عند الأصمعي يعني " طلب الثواب الأخروي " أو ما يتصل اتصالاً وثيقاً بالناحية الدينية ويقابله حينئذ " دنيوية " الشعر واتصاله بالصراع الإنساني في هذه الحياة، فاللّيونة والانحياز إلى الخير مضادان للفحولة، وهذا هو المبدأ الثاني الذي تميز به الأصمعي.

فمهما بلغت قوّة توثيق الرّواية لمثل هذه النصوص أو ضعُفت فإنّها قد أخذت من تفكير النقّاد العرب قديما وحديثا مأخذها حتّى وإن كانت هذه النّصوص من وضع أحدهم في تاريخ الأدب العربي، فإنّها قد صارت منطلقا لكلّ من يفصل الدّين عن الفن ويجعلهما شيئين متضادّين لا يمكن التحامهما بأي حال من الأحوال، فالمجال الأوّل الذي شغل النقد الإسلامي قديما هو الشّعر وأهمّ عائق اعترضه هو المستوى الأخلاقي؛ حيث نُبذ كلّ من يتعرّض إلى هذا الجانب لأنّه يضيّق على الشاعر في إبداعه ويحصره في واقع هو أشبه بالكنيسة، لذا فإنّ النقاد الإسلاميين الذين جاؤوا بعد عصر الخلافة الرّاشدة لم يجدوا سبيلا إلى الصدع بآرائهم المنبثقة من أصول الشرع لكونهم اصطدموا بواقع شعري وجد رواجه حينما تطرّق لأغراض إباحية كالغزل المتهتّك والنسيب والتشبيب والخمريات وشعر النقائض الذي يتتبّع المثالب والعورات، فهذا النمط من الشعر أعاد صورة الجاهلية لكن بأسلوب آخر طابعه المدنية والتحضر والدليل على ذلك ما حفلت به المجموعات الشعرية والمطوّلات من كتب الأدب كالأغاني وغيره التي حفظت لنا مجون الشعراء وعبثهم بالمقدّسات كقول بشار بن برد: (إبليس أشرف من أبيكم آدم)،فذيوع مثل هذه الأشعار في زمانها لم يكن للنقد الإسلامي سلطة عليها بل إنّ التيار الموازي له شجّعها وألّف كتبا في الدّفاع عنها باسم حريّة الرأي وأن لا حدود للفن. لأنّ أعذب الشعر في فلسفتهم أكذبه. فكلّ كذب حتما سيخالف الحقيقة وهذا ما يسهّل مجانبة الشرع في أحكامه وثوابته.

[29] ينظر : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ/1999م، 342/2

[30] أبو حاتم السجستاني: فحولة الشعراء، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد مكتبة النهضة المصرية، القاهرة– مصر، (د.ط)1411هـ/1991م، ص120

[31] محمد بن سلّام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق وشرح؛ أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة–العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، 245/1

CC BY-NC-ND 4.0

ج ـ أثر هذه الدّعوة في النقد المعاصر:

تلقّف المحدثون من العرب دعوة الفصل بين الدّين والفن، وأصّلوا لها انطلاقا ممّا ورد عليهم من مذاهب فلسفية غربية؛ حيث وجدوا في ذلك متنفّسهم لإنتاج أدب لا يمتّ بأيّ صلة لمبادئ الشريعة الإسلامية حتّى أضحى النقد الإسلامي غريبا إن لم نقل مغيّبا عن ساحة المتابعات النقدية لكلّ عمل إبداعي لأنّه ـ أي النقد الإسلامي ـ لو أقحم نفسه في هذا الخضمّ المعارض لمبادئه فإنّه حتما سيدخل في دوائر صراع تتّهمه بالرّجعية وضيق الأفق والحجر على الفنّ عموما، فالذين حاولوا إرساء قواعد نقدية معاصرة مستمدّة من روح الإسلام لم يجدوا منتجا إبداعيا يسحبون عليه قواعدهم النقدية عدا النزر اليسير الذي أنتجه بعض الأدباء الذين يتقاطعون معهم في الفكر نفسه؛ حيث كتبوا في مجال القصّة والرّواية والمسرح، غير أنّ هذه الأجناس الأدبية التي تقارب ما أنتجه الغرب لم ترتق لتواكب حركية الإنتاج الأدبي غير الإسلامي إمّا في العالم العربي أو العالم الغربي، ممّا ضيّق زاوية النقد الإسلامي وجعلها شذرات مبثوثة هنا وهناك[32].

إن ارتباط النقد بالأدب حتمية تفسّر تضاؤل النقد الإسلامي تبعا لقلّة المنتج الأدبي الذي يعبّر عن واقع المجتمع الإسلامي الذي انحصر في أجناس معيّنة أشهرها الرّواية التي حلّت محلّ الشعر القديم، فهي ديوان المجتمع الحضاري اليوم، غير أنّ الرواية نمط غربي؛ تعدّ الواقعية مبدأه الرئيس وهنا تحدث المفارقة عن أيّ واقع يتحدّث الأديب وهو الذي لا يرى صورة لمجتمع مغاير عمّا يقرؤه في الروايات الغربية، عندها لا يستطيع الناقد إبداء رأيه في أيّ عمل من هذا الشكل، فإذا التفت إلى الرّواية التاريخية وجد فيها مغالطات تاريخية تشوّه الحقائق فلا يكون لها علاقة بالواقعية المنشودة وهي موافقة الحقّ في نقل الحوادث والأخبار، أمّا مجال الشعر الحرّ والمسرح والسينما بوصفها فنونا إبداعية معاصرة لم يجد النقد له فيها موطئ قدم لكون تجربتها مستنسخة من الغرب لها أدواتها النقدية التي تنسجم معها وتقوّمها قصد تطويرها وتغيير أساليب عرضها.

خاتمة

ـ أن يتدرج النقد مع تطور الأدب ويسايره في مراحل نموه فتلك ضرورة حتمية لا بد منها لكي ينشأ الأدب الجديد في كنف النقد ويحتكم إلى قواعده التي توجهه وتؤقلمه وفق نظرة القارئ الذي يعد ناقدا صامتا لكن فعله أكثر تأثيرا في تغيير حركية الإبداع.

لم يتكيف النقد الأدبي الإسلامي مع واقع الأدب المعاصر لأن النظريات في هذا الأدب انسلخت تماما عن أيّ مرجعية يمكن للنقد الإسلامي أن يجاريها ويحكم عليها انطلاقا من مبدأ القيمة التي يعتمدها عند تفسيره للمضامين المنجزة وذلك لبعد الفارق بين المحضن الذي نشأ فيه العمل الإبداعي في هذا العصر وبين المحضن المتصور في مخيلة نقاد الأدب الإسلامي

CC: BY-NC-ND 4.0-

[32] ينظر الدّراسة الرائدة في مجال النقد الإسلامي المعاصر:عماد الدين خليل : في النقد الإسلامي المعاصر: ،دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2007.

غربة النقد الإسلامي في هذا العصر سببها غياب أدب يجانسه في المرجعية الفكرية ويتفاعل معه إيجابا وسلبا، فانحصار دائرة الأدب الإسلامي نفسه أسهم في تقويض أسس نظرية النقد الإسلامي بوصفه بديلا موازيا لغيره من تيارات النقد الحديثة التي قامت على أنقاض سابقيها.

– رؤية النقاد الإسلاميين في مجال الفنّ عموما شابَها غموضٌ تلفُّه عتمةٌ سببها اضطراب المصطلح النقدي المتجه نحو محاولة التقارب مع المذاهب النقدية الغربية ذات الأصول اللاّدينية وهذا ما فرض نوعا من المفارقة في تتبع الأنساق الأدبية المتباينة في توجهاتها الإيديولوجية.

– إشكالية تحديث النقد وحداثته لا تنطلي على النقد الإسلامي لأنه لايستند إلى مرجعيات تتهاوى في كل عصر بل إن أساس نظريته يقوم على مبدأ الاحتكام إلى منطق الشريعة الإسلامية الذي ينشد الخيرية بوصفها غاية في كل شيء

– التحديات الراهنة التي يجب على نقاد الأدب الإسلامي مواجهتها وتجاوز عقباتها هي محاولة تقديم الأنموذج الرائد في الإبداع الفني الذي يمكنه أن يستقطب قطاعا واسعا من القراء على اختلاف مشاربهم وأهوائهم وليس ذلك بعزيز، لأنّ مواضيع الأدب الإسلامي ومعايير نقده لم تُستهلك ،كما أنها تنشد حضارة الأخلاق في النهاية بوصفها الهاجس الذي أرّق ماضي الإنسان وحاضره.

– عدم تبلور نظرية واضحة المعالم في النقد العربي المعاصر كان له كبير الأثر في تراجع فكرة الاعتماد على النقد الإسلامي بوصفه راسخ الجذور ومرجعيته ثابتة، فإذا استطاع النقاد العرب الانفصال عن النظريات الغربية وتمكنوا من رؤية إبداعهم بمنظارهم الخاص بهويتهم حتما سيظهر من بينهم من يعيد للنقد الأدبي الإسلامي مكانته ودوره في الساحة النقدية التي تتسع لمقاييس تقويمه.

– الممارسة النقدية الإسلامية يمكنها أن تتطور لا أن تتغير وذلك بمراعاة أولويات الإبداع التي لا تتعارض مع أحكام الشرع كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حينما استمع إلى المقدمة الغزلية في مطلع قصيدة بانت سعاد ولا ينسحب هذا مع الفن الإباحي الصارخ الذي لا يراعي الأعراف ولا فقه الشرائع السماوية.

قائمة المصادر والمراجع:

– إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ،ط4، 1983م .

– أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين (القسم الثالث النقد الأدبي الإسلامي) ، دار بن حزم، بيروت–لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.

– أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن ، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط5، 1403هـ.

CC: BY-NC-ND 4.0

- أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام وآخران، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1980.

- أبو حاتم السجستاني: فحولة الشعراء، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، (د.ط)1411هـ/1991م.

- ابن حزم: رسائله ، تحقيق؛ إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان،(د.ط)، 1981م

- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2000م.

- رينيه ويليك: أشكال الواقعية تبعا للمذاهب الفكرية عند الغرب؛ مفاهيم نقدية، ترجمة؛ محمد عصفور، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1407هـ/1987م.

- سيد سيد عبد الرزاق: (مصطلح الإلتزام في النقد الإسلامي المعاصر دراسة في المفهوم ومجالات الاستخدام) ؛ مجلة إسلامية المعرفة العدد 58 السنة 15 1430هـ/2009م.

- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي و مقوماته ، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط8، (د.ت).

- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق ،القاهرة – مصر ، ط8 ، 1424 هـ /2003م.

- صالح آزوكاي :مصطلحات التخطئة الشعرية في التراث النقدي" بحث في العناصر النقدية والموارد الفكرية" ، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 1431هـ/2010.

- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ/1999م.

- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،دار الفكر ، بيروت، لبنان،ط1، 1424هـ/2004م.

- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.

- عبد الملك بن قريب الأصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق، ش.توري، قدّم له صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 1980.

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط(، (د.ت).

- عزة محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، (د.ط)، 2002م.

CC: BY-NC-ND 4.0-

- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط5، 1401هـ/1981م .

- علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 2006.

- عماد الدين خليل : في النقد الإسلامي المعاصر: ،دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2007.

- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق أحمد السيد صقر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط1، 1994م.

- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة والنشر، العربية السعودية، (د.ط)، 1419هـ/1998م.

- محمد بن سلّام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق وشرح؛ أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة-العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).

- محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ، دار الشرق، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- المنجد أنطوان نعمة وآخرون: في اللغة العربية المعاصرة: ، دار المشرق بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- منذر معاليقي: دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط1، 2004م.

CC: BY-NC-ND 4.0

Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi XLI, 2016/2, 72-73
Arrival Date: 26.02.2016, Publishing Date: 28.12.2016
CC: BY-NC-ND 4.0

CONTEMPORARY TRENDS OF CRITICISM IN ISLAMIC LITERATURE

Zine Eddine BENMOUSSA[a]

Abstract

Islamic literature is the one which represents the reality of religious life in all its dimensions and events to symbolize this life in a creative image through texts with different topics, whether prose or poetry. Subsequently, the literary work can be considered as the mirror that reflects the image of the human life without neglecting any aspect of it as it is irrelevant to the Muslim's life because anything can be a source of inspiration for fiction, poetry or even criticism works. However, this is not completely true. Islamic literature tends to avoid the discussion of certain topics and considers them prohibited, and this leaves room for others' pens to write about them in any way they choose. Writers of Islamic literature should treat the various topics in an objective way and take a neutral stance that would help in treating those topics according to their perspectives and in line with their thoughts. This would have a great influence on their writing making it read by a largest number of readers, and without being limited to one category over the other.

Eventually, we will discuss the levels of criticism in Islamic literature to find out whether they depend on subjective criteria based on moral values or on critical criteria which vary according to the nature of the work itself.

The concept of Islamic criticism includes every conscious study of any written production with a value according to the thinking criteria. The criticism of Islamic literature is one of the different aspects of the general Islamic criticism. The most important criterion of the Islamic criticism is avoiding the standardization that seeks subjectivity and tries to give a place and a location for each element on the scale of values. This goes contrary to the objective vision which is the pillar of Islamic criticism. This vision seeks to show the essence of any element so it gives credibility to the Islamic criticism.

We notice that the objective criticism is based on neutrality and deals with the criticized topic as a whole trying to save the academic communication between the critics and authors who are bound by the discovery and creativity strings in the field of literary production. It means that the critic has to take into consideration during the criticism process the Islamic ethics

[a] Prof., University Frères Mentouri, Algeria, zineeddine.benmoussa@gmail.com

and scientific rules inspired from the provisions of Islamic sharia, sunnah and prerequisites related to criticism. So, he criticizes the idea not the writer and criticizes by giving advice as it is one of the fundamentals of Islamic religion. The positive criticism aims at reviving the spirit of competition and strengthening the personality of the author not banishing him. And there is no harm if the Islamic criticism borrows some western criticism criteria and takes benefits from its researchers' experiences provided that these criteria go along with its civilizational project. So, the criteria of the Islamic criticism have to be global with humanistic dimension keeping the critics away from purposeless conflicts.

The most important criticism criteria during the early Islam period are religion, morals and objectivity. The prophet's criticism vision was based on three elements: content criticism; form criticism: disposition and artificiality, the beauty of the word and succinctness; and judging poets. Omar Ibn Al Khattab restricted his literature criticism vision to two elements: objectivity and moral and religious vision.

Hence, we can say that the principles of the criticism in Islam is limited in: artistic and moral truth in Islamic literary creativity, strength and obviousness of the meaning and the form in literary production, authenticity, exhaustiveness and stability, absolute positive realism, faith commitment, and appropriate renewal fitting with Islamic values. But, there are a lot of obstacles facing the Islamic criticism but the major obstacle consists of the relationship between poetry and religion or poetry and morals.

The modern Arab researchers adopted the movement of separation between religion and art, basing their arguments on doctrines of western philosophy; where they felt themselves free to produce literature which is not in any way linked to the principles of the Islamic Sharia. Thus, Islamic criticism becomes a stranger and absent from the criticism process of all creative works. Subsequently, it tightens the field of the Islamic criticism.

Finally, the present paper attempts to account for the current trends of criticism and its contemporary orientations in relation to Islamic literature. Also, it attempts to shed some light on the principles of the critical method and how to be developed in order to get along with today's literary product and therefore making the message of Islamic literature a global one with a humanistic orientation in the first place.

Keywords: Criticism, Islamic Literature, Contemporary Trends.

CC: BY-NC-ND 4.0